University of Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRHJ)
Volume 8, Issue 2, (2024), pp. 363-380, ISSN:3079-0581

The problem of the conflict between philosophy and religion

Kulthum Al-Hudayri

Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Sebha
Sebha - Libya

EMAIL: kulthumothman@gmail.com

Received:01 /06/2024 / Accepted:15/07/2024 Available online:31/12/2024.*DOI:10.26629/UZRHJ .2024.22*

ABSTRACT

This study focuses on the conflict existing between religion and philosophy, this conflict that was sparked by ancient clerics such as (Imam Abu Hamid Al-Ghazali), who criticized the philosophers and criticized the inconsistency of their sayings. Ibn Rushd quickly responded to it with the incoherence of incoherence, focusing on the issue of reconciliation between Sharia law and wisdom. The attack on philosophy and the accusation that it calls into question belief and that it leads to atheism has disappeared

Today, although the conflict between religion - whether Christian or Islamic - and philosophy, is not a conflict between transmission and reason, but rather a conflict between the vision and interpretations of the clergy and the philosophers, when the clergy found that the philosophers would expose their deception and liberate man from the shackles of illusion.

Therefore, the aim of the study is to refute the issue of skepticism in philosophy, and to prove that it is compatible with faith. Through this, it reached several results, the most important of which are: that lack of understanding of the term led to

The violent attack on philosophy, in that the word philosophy is a foreign word to the Islamic environment and confusing the Islamic mind, and naturally everything new and alien is rejected. However, if we replace the word philosophy with the word parallel to it, which is wisdom, then all the problems related to religion and wisdom will disappear, and this is what is stated in the Holy Qur'an. (And teach them the Book and wisdom), so wisdom is the foundation of Islam, and a Muslim is not a Muslim unless he is wise and balanced in his words and actions.

Keywords: Philosophy - Religion - Conflict - - Wisdom - Doctrine.

"Articles published in *Univ Zawia Rewaq Alhkma* J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License."

مشكلة النزاع بين الفلسفة والدين

كلثوم الحضيري

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سبها

سبها – ليبيا

Email: kulthumothman@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/06/01م **تاريخ القبول: 2024/07/15م** **تاريخ النشر: 2024/12/31م**

ملخَّص البحث:

تُركز هذه الدراسة على الصراع القائم بين الدين والفلسفة، هذا الصراع الذي أشعل فتيله رجال الدين القدامى أمثال (الإمام أبو حامد الغزالي) الذي طعن في الفلاسفة وتهافت أقوالهم، وسرعان ما رد عليه ابن رشد بتهافت التهافت، مركزاً على قضية التوفيق بين الشريعة والحكمة، ولا زال الهجوم على الفلسفة واتهامها بالتشكيك في العقيدة وبأنها تقود إلى الإلحاد يتداول حتى يومنا هذا، مع أن الصراع بين الدين سواء – كان مسيحياً أو إسلامياً– وبين الفلسفة، ليس صراعاً بين النقل والعقل، إنما هو صراع بين رؤية رجال الدين وتأويلاتهم وبين الفلاسفة، حين وجد رجال الدين أن الفلاسفة سيكشفون خداعهم وسيحررون الإنسان من قيود الوهم.

لذا يكون هدف الدراسة هو دحض قضية التشكيك في الفلسفة، واثبات أنها تتماشى مع الإيمان، ومن خلال ذلك توصلت إلى عدة نتائج نذكر أهمها : أن عدم فهم المصطلح أدى إلى الهجوم العنيف على الفلسفة، من حيث أن كلمة فلسفة كلمة دخيلة على البيئة الإسلامية ومشوشة للعقل الإسلامي، وطبيعي كل جديد ودخيل منبوذ، ولكن لو استبدلنا كلمة فلسفة بالكلمة الموازية لها وهي الحكمة فإنه ستختفي كل الإشكالات المتعلقة بين الدين والحكمة، وهذا ما جاء في القرآن الكريم (وعلمهم الكتاب والحكمة)، إذاً الحكمة هي أساس الإسلام، والمسلم لا يكون مسلماً إلا إذا كان حكيماً ومتزناً في أقواله وأفعاله.

كلمات مفتاحية: الفلسفة ـ الدين ـ الصراع ـ الحكمة ـ العقيدة.

مقدمة:

لا زال الصراع بين الفلسفة والدين قائماً، ولا زالت إشكاليته متشابكة ويعاد بلورتها بطرق مختلفة مما جعل البعض يوجه اتهاماً لاذعاً للفلسفة بأنها تقود صاحبها للإلحاد، وعلى صعيد آخر هناك من يظن أن الفلسفة كلام مجرد من أي فائدة علمية ولا معنى له وليس لها أي صلة بالواقع، بل يمكن أن نقول العكس، فالفلسفة ليست بشيء دخيل على الإنسان، فحياته كلها حلقات من الفكر والتأمل والاستكشاف والتحليل، وظاهرة إنسانية ملازمة لوجوده، فهي بالنسبة للإنسان كما يقول (كارل ياسبرز): أمر لا مفر منه، فهي ماثلة في كل المجالات، وليست مجرد دراسات نظرية منعزلة، بل هي نظرة إجمالية في الكون واتجاه فكري عام نحو الحياة، وكما قال (عباس العقاد): العقيدة الدينية هي فلسفة حياة لكل أمة تدين بدين معين، وأن الفلسفة تصلح للاعتقاد كما تصلح العقيدة للفلسفة، فهناك آيات كثيرة من القرآن يستخرج منها المسلم فلسفة قرآنية لا تحول بينه وبين البحث في غرض من أغراض الفكر.

إن موضوع هذه الدراسة يقوم بمعالجة هذه القضية القديمة المتجددة التي تطرح الإشكالية الأساسية وهي :(مشكلة النزاع بين الدين والفلسفة)، وذلك لأهمية الموضوع التي يكمن في اعطاء صورة واضحة عن هذه المشكلة وبيان حقيقتها والسبل لإيجاد التوافق بينهما، ومشكلته تفرض عددٍ من التساؤلات وهي كالتالي: وهل فعلاً كما يُقال أن الفلسفة تؤدي إلى التشكيك في العقيدة؟ هل هو صراع حقيقي أم أن التعصب الديني هو الذي أشعل هذا الصراع ؟ وما دور رجال الدين في بلورة هذه القضية؟

ولكي نجيب عن هذه الأسئلة نبدأ من فرضية مفادها: الدين لازمة من لوازم حياة البشر، لأن العقيدة الدينية هي فلسفة الحياة لأي أمة تدين بدين معين، والفلسفة تصلح للاعتقاد وتزيد من إيمان الإنسان لو تعمق في جوهرها، وكل فلسفة تستمد حاجتها من الدين الذي لا غنى عنه.

تهدف هذه الدراسة إلى دحض القضية التي تقول أن الفلسفة تؤدي للإلحاد، وأنها لا تتماشى مع الإيمان، والرد على كل من يشكك في إيمان دارس الفلسفة والوقوف به على ركيزة معينة هي أن تفكير الفيلسوف قد صدر في جانب منه على أنوار الوحي.

ولبلوغ الهدف من هذه الدراسة، فقد اتبعت منهجاً تاريخياً لتتبع تطور المشكلة ومنهجاً تحليلياً لقدرته على تحليل العناصر ووصفها، فاتخذتُ فيه نسقاً معيناً يحتوي على خطة تتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول : دلالة المفاهيم:

نرى من الأجدر بنا معرفة دلالة المصطلح لنفهم مدلولها، ونبدأ بتحديد دلالة الفلسفة:

المبحث الأول : مفهوم الفلسفة :

ليس من السهل إعطاء تعريف للفلسفة يتفق عليه الجميع، فهي تعد من المفاهيم القليلة التي تحمل عدة معاني، والسبب ربما يعود إلى اختلاف المذاهب الفلسفية فيما بينها في تحديد دلالتها، فمثلاً: تعريف الفلسفة عند التجريبيين، يختلف عن تعريف الفلسفة عند المثاليين، عنه عند النقديين الخ.. إضافة إلى تطور مفهومها عبر العصور يجعلها تختلف باختلاف تفكير كل عصر وموضوعاته .

وعلى كل حال تدل كلمة فلسفة على كل ما يستنبط بالمنطق والعقل من أجل البحث عن الحقيقة، وسياقها اللغوي هو اختصار لكلمتين يونانيتين : (فيلو وسوفيا) ، أي : (محبة وحكمة)، ليتخذ معناها اللغوي من محبة الحكمة، والفيلسوف هو محب الحكمة، أي ذلك الإنسان الذي تنبعث فيه الرغبة في التفكير والإجابة على الاستفهامات التي تحركه للبحث عن إجابة لها، والحكمة هي المعرفة التي يسعى الجميع إلى طلبها والحصول عليها(زقزوق،2017).

أما السياق الاصطلاحي للفلسفة فيختلف باختلاف الفلاسفة واتجاهات تفكيرهم، فبحسب رأي (سقراط) الفلسفة هي البحث العقلي عن حقيقة الشيء الذي يؤدي للخير، والفلسفة من وجهة نظر (أفلاطون) البحث عن حقائق الموجودات ونظامها لمعرفة المبدع الأول لها، وعند (أرسطو) تعني معرفة الكائنات وأسبابها ومبادئها وعلتها الأولى، أي هي العلم العام ومعرفة موضوعات هذا العلم.

ومما تقدم طرحه فإن الفلسفة في الفكر اليوناني هي معرفة طريق الحكمة ومعرفة حقيقة الوجود، ووسيلة لمعرفة اليقين.

وبالانتقال إلى الفلاسفة الإسلاميين ومحاولة تقصي ما يعنيه مصطلح فلسفة ، نقف عند (الكندي) حيث يُعرّف الفلسفة بأنها: علم الأشياء بحقائقها الكلية، وأن أعلى الصناعات الإنسانية منزلةً، وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة(الكندي،1948،77).

وتعريف الفلسفة عند (الفارابي) يقترب من تعريفها عند اليونان، فيعرّفها : «العلم بالموجودات بما هي موجودة» (الفارابي،1986،80).

وأما (ابن رشد) فتعريف الفلسفة عنده مرتبط بالدين، فيقول: هي «النظر إلى الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع» (ابن رشد،1968،9).

ومما تقدم نستنتج أن موقف الفكر الإسلامي من الفلسفة هو محاولة التوفيق بينها وبين الشريعة، حيث كانت كل جهودهم وكتبهم منصبة على هذا العمل الذي انعكس على مجمل تفكيرهم وفلسفتهم فصارت تعني النظر والتفكر والتأمل في كل الوجود لنصل إلى الموجود الذي أوجد الوجود.

وإذا تتبعنا مفهوم الفلسفة حديثاً نلاحظ رفض الفلاسفة المحدثين أن تكون الفلسفة كما فعلها مفكري العصر الوسيط لخدمة الدين، ورأوا أن دور الفلسفة تحرير العقل من القيود التي فرضتها السلطة الدينية،

أما في الفلسفة المعاصرة، فقد سادت نزعة أمريكية سميت بالمذهب العملي، فالفلسفة لدى هذا المذهب هي التي تحقق من ورائها منفعة عملية، أما المذهب الماركسي فيرى أن مهمة الفلسفة هي تغيير العالم (إمام،1972 ،23).

في الواقع مهما اختلفت معاني الفلسفة فالجميع متفق على القول أن التفلسف هو ضرب من النظر العقلي هدفه الكشف عن حقائق الأشياء .

المبحث الثاني: ماهية الدين :

الدين هو جوهر الحضارات عبر العصور وأحد ركائز الفطرة الإنسانية، حيث كان الإنسان يفكر في وجوده ويبحث عن وازع ديني يلجأ إليه، حتى أنزل الله الرسالات السماوية لهدايته وأخرجته من الأساطير الدينية والخوف منها وجعله يهتدي لإله واحد لا شريك له، فالدين لغة : «هو اسم لجميع ما يتدين به وجمعه أديان(المعجم الوجيز،2009،241).

والدين في السياق اللغوي يحمل معاني عديدة، يقال: دانه ديناً أي جازاه، ومنها الديَّان، وهي صفة من صفات الله تعالى، أي المجازي، والدين بمعنى الجزاء، والحساب، والطاعة، والدين بمعنى العادة والشأن، ويطلق على الشريعة وما يؤخذ العباد من تكاليف(أحمد، 2000 ،11).

وجاءت كلمة الدين في القرآن الكريم بعدة معانٍ: فيعني دين الحق، أي الثبات المطابق للواقع، كما في قوله تعالى(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) [سورة الصف الآية: 9] والدين القيم الذي ينبغي له القوامة والهيبة لأنه المستقيم على الحق المبني على البرهان كما في قوله تعالى: (ذلك الدين القيم) [سورة الروم الآية 3]، والدين الخالص، أي الحق البعيد عن الباطل، لا تشوبه شائبة، كما في قوله تعالى: (ألا لله الدين الخالص)[سورة الزمر: الآية: 3]، ويشير أيضاً إلى الدين المضاف إلى البشر، كقوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين)[سورة الكافرون: الآية 6] وفي أيةٍ أُخرى:(لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)[سورة غافر الآية 26].

نود أن نشير هنا إلى مسألة هي أن الدين في البيان القرآني عندما يضاف إلى البشر قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً، وقد يعني اختراعاً بشرياً أو وهماً يتناقض مع التشريع الإسلامي، كقوله تعالى: (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم) [سورة الأنعام الآية 137].

مما تقدم نفهم من السياق اللغوي أن الدين يضاف إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فيحمل عناصر ثلاثة، هي :

- دين الله قائم على توحيد الله اعتقاداً جازماً.
- قائم على التشريع الإلهي.

- قائم على العبادة والطاعة الخاشعة.

أما في السياق الاصطلاحي للدين فقد اختلف حسب وجهة نظر الفلاسفة وعلماء الاجتماع، فالفلاسفة المحدثون أكدوا على أن الدين مجموعة من الإدراكات والاعتقادات وأفعال النفس من حبها لله وحب عبادته وإطاعة أوامره، ومنها معنى آخر: أن الدين هو الإيمان بالإنسانية،(النشار، 2018، 156).

اعتبر (أميل دوركايم) الدين مؤسسة اجتماعية تقوم بالتفرقة بين المقدس وغير المقدس، ولها جانبان: جانب روحي يشمل العقائد والمشاعر الوجدانية، والجانب الآخر يشمل الطقوس والعادات(صليبا،1878، 537)، فهذا التعريف يمكن أن ننظر من خلاله للدين من منظور اجتماعي، لأنه وصف الدين وصفاً اجتماعياً يضم العقيدة والعادات، لكنه غفل عن العبادات المتصلة بالإله، أو ربما صنفها من ضمن الطقوس التي تمارس كعقيدة أي من ضمن الدين.

وإذا أتينا للدين من المنظور الإسلامي، فقد اختلف، فيطلق «على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير(ستيبس،2013، 39).

ويُعرَّف أيضاً بأنه وضع إلهي لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبياً كان أو قالبياً كالاعتقاد والعلم والصلاة(النشار،158).

كلا التعريفين هو محاولة لربط الدين بالفضيلة، أو بمعنى أدق، أن الدين هو التوفيق بين العقيدة والأخلاق، فكما جاء في قول رسولنا الكريم: إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق، وبهذا يمكن القول أن المفهوم الإسلامي يقسم الدِّين إلى جانب عقائدي يشمل العبادات، وجانب أخلاقي يشمل المعاملات.

في سياق آخر هنالك من ينظر للدِّين والملة بمعنى واحد، كما جاء عند الشهرستاني الذي عرَّف الدين بأنه الطاعة والانقياد، والمتدين هو المسلم المطيع المُقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد... وعند أرباب الديانات والملل بأنهم المسلمون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن لهم شبهة كتاب كالمجوس(الشهرستاني، 2005، 28).

وفي السياق نفسه عرّف الجرجاني الدين «أنه وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى ما هو عند الرسول صل الله عليه وسلم، والدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث هي تُطاع تسمى ديناً، ومن حيث أنها تَجمْع تسمى ملة، ومن حيث أنها تُرجع إليها تسمى مذهباً، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد» (الجرجاني،1983، 105).

نخلص ممَّا سبق أن المسلمين يفرقون بين الدين والملة والمذهب، إلا أنهم يرجعونه إلى أصل واحد هو الدِّين، لأن كل هذه المصطلحات مصدرها الله سبحانه وتعالى سواء التي جاءت على لسان الرسول أو من المجتهدين الذين يقيسون على أساس شريعة القرآن والسنة النبوية .

المطلب الثاني/ جذور النزاع بين الفلسفة والدين:

المبحث الأول : حدود الفكر اليوناني في المعرفة:

الحاجة إلى التوفيق بين الدين والفلسفة يحسه كل مفكر مؤمن ليحقق الانسجام بين معتقده الديني العامر به قلبه، والنظر العقلي المتمثل في الفلسفة، لهذا نجد أن هذه العلاقة له أصلها الإغريقي، حيث أن موضوع الفلسفة عندهم بقسميها النظري والعملي يهدف إلى معرفة أصل الوجود وغايته، ومعرفة سبيل السعادة الإنسانية، كذلك موضوع الدين بمعناه الشامل يهدف إلى توضيح الطريق الذي يرى فيه سلامة البشرية في التعايش معاً، والفلسفة تهدف إلى ذلك (البهي،1974،8).

لهذا نجد أن بين الدين والفلسفة ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، وأن التفكير الفلسفي الإغريقي ممزوجاً بالتفكير الديني، حيث كان للأساطير الدينية دوراً هاماً في نشأة التفكير الفلسفي، مع أن فلاسفة اليونان لم يلبثوا أن تحققوا من أن تلك الأساطير ما هي إلا خيالات بشرية اصطنعها البشر لوصف الآلهة، ووضعوا عليها هيبتهم وعواطفهم، فحارب فلاسفة اليونان هذا التصوير للإله، بل ذهبوا إلى تصوير الله بأنه عقلاً خالصاً وفكراً، وكانوا يواجهون الكثير من المشكلات الدينية بالأدلة المنطقية والبراهين العقلية، كما فعل (أفلاطون) و(أرسطو) اللذان حاولا أن يلتمسا في الكثير من الأساطير الدينية ببعض آثار التفكير الفلسفي، وكأنهما أرادا أن يوفقا بين الفلسفة والديانة الشعبية، وهذا ما فعله الرواقيون من بعدهم، بأن حاولوا تفسير الديانة الشعبية تفسيراً فلسفياً، وذهبوا إلى أن سائر المعتقدات الدينية والطقوس الشعبية ما هي إلا صور متنوعة لحقيقة واحدة (إبراهيم،136).

نفهم مما سبق أن الفلسفة والدين عند اليونان سَيَّان، وأن الديانة الشعبية عندهم لم تعرقل التفكير الفلسفي، ولم تكن عائقاً أمامه في سبيل البحث عن تفسيرات فلسفية جديدة، بالإضافة إلى أن البيئة التي وجد عليها اليونانيين كانت ملائمة لمثل هذه التفسيرات، حيث كانوا يتمتعون بالحرية التي ساعدتهم على حرية التفكير، مما قادهم إلى الإيمان بقدرة العقل على تفسير كل المشكلات الدينية.

المبحث الثاني: محاولة التوفيق بين النقل والعقل في العصور الوسطى:

عند الحديث في هذا المحور يجب التفرقة بين العصور الوسطى في أوروبا، والعصور الوسطى في الإسلام في معالجة القضايا الفلسفية أو العلمية، ففي تلك الفترة الزمنية الواحدة كان هناك تفاوت بين العلوم في هاتين المنطقتين، فالعلم الأوروبي خلال هذه الفترة وصل إلى الحضيض ولم يحرز أي تقدماً حاسماً في أي مجال، ولم يظهر أي تغيير جديد لمفهومه، حيث احتكرت كل العلوم محصورة في الكنيسة، ولرجال الدين الكلمة الأولى والأخيرة في كافة المجالات، فهم أصحاب الفكر والعقل ولهم القداسة الدينية، وأي اعتراض على تعاليمهم هو اعتراض على تعاليم الرب بحسب زعمهم، فأصبح العلم ترديد وتكرار لكل ما يحيط برجل الدين، وصاحب النقد والتجديد في تلك الفترة يتعرض لأشد الأخطار، لذا

ارتبط لفظ العصور الوسطى في ذهن الأوروبي بالتخلف والتعصب والركود الفكري(زكريا، 1985،160).

أما صورة العلم في العالم الإسلامي فمختلفة تماماً، حيث وصل العلم إلى قمته وكان مركز اشعاع في العالم الإسلامي، خذ مثلاً (ابن سينا) نجده يكتب في السماء والعالم، والكون والفساد، والمعادن، والنفس والحيوان والنبات، والطب والرياضيات إلخ، وما يقال عن (ابن سينا) يقال على (الكندي) و(الفارابي) و(ابن رشد) وباقي فلاسفة الإسلام، فإبداعات الفكر الإسلامي نلمسها في شتى العلوم، فنجد المفكرين المسلمين قد عنوا بالطب عناية فائقة، فعرفوا طب العيون وعرفوا الحُميات، ولعل الفيلسوف (أبو بكر الرازي) الذي ظلت كتبه في الحُميات لها أثرها على الحضارة الأوروبية، ففي كتاباته تحدث عن الجدري والحصبة، وأمراض الأطفال، مما جعل أطباء أوروبا معتمدين عليها زمناً طويلاً، وكذلك كتاب (القانون) (لابن سينا) الذي اعتبره الأوروبيون خير ما انتجته القريحة العربية، فهو قاموس في الطب والصيدلة، ولو اتجهنا إلى علم الكيمياء نجد أقدم العلماء العرب في هذا المجال هو (جابر بن حيان) الذي ألف كتب كثيرة ترجمت إلى اللغة الفرنسية، وفي الفيزياء يقف أمامنا (الحسن بن الهيثم) الذي استحق لقب عالم من خلال أبحاثه في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة وفي الضوء واشتغل بالعدسات والبصريات، فكان له أثر في طب العيون عند الأوروبيون، وفي علم الرياضيات كان أشهر علماء هذا العلم هو (الخوارزمي) . (شلبي،2012 ،305).

وعليه، فإن الهدف الرئيسي وراء هذه العلوم هو اهتمامهم بالعلم التجريبي والبحث العلمي من أجل الكشف وفهم قوانين الطبيعة المحيطة بهم، فمهما استوحوا من الفكر اليوناني إلا أنهم عدَّلوا وصححوا وأضافوا ابداعات جديدة لم يسبقهم إليها أحد.

وللعودة لمشكلة الصراع بين الدين والفلسفة في العصور الوسطى نلاحظ أن مع كل الجمود والتعصب الديني الذي سببته الكنيسة ورجال الدين نجد بعضاً من رجال الفكر المسيحي ناقش قضية العلاقة بين الدين والفلسفة، أو بين الوحي والعقل كما يقولون دراسة موضوعية، ووصلوا إلى أن هناك حقائق مهما كانت من دقة العقل وصحة براهينه لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي، فكانت هذه الحقائق هي نقطة البداية عند فلاسفة هذا العصر باستخدام العقل للبرهنة والتدليل عليها، وهذا ما ذهب إليه القديس (توما الأكويني) إلى أن العقل والوحي وسيلتان من وسائل المعرفة لأنهما جاءا من أصل واحد، ذلك أن الله هو الذي أودع العقل في الإنسان وأعلن للناس حقائق الوحي، وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يصل عن طريق العقل وحده إلى كافة الحقائق الدينية، فلا بد أن يضاف الوحي إلى العقل حتى يتمكن العقل من ادراك كل الأسرار الفائقة للعقل (إمام ،109).

وبناءً عليه، فالعقل والوحي ليسا متناقضين في نظر (القديس الأكويني) بل اعتبرهما خطوتين متتاليتين يؤديان إلى حقيقة واحدة، ومن جهة أخرى يقول : «العمل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل وأنا أومن لكي أتعقل»(إبراهيم،137).

نفهم من ذلك أن على الإنسان أن يختبر الإيمان بعقله قبل أن يُسلْم به، فإذا ضمن صحة العقيدة التي فحصها عليه أن يُسلْم بأسرارها، فتأتي بعدها مرحلة التعقل الفلسفي للدِّين، وهذا ما أقرَّه (أوغسطين) الذي اعتبر أنه لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن.

ومن جانب آخر اعتبر (القديس أنسلم) أن العقل ليس بمقدوره أن يصل إلى الحقائق التي يقدمها الوحي مهما كانت دقته وصحة برهانه، فالعقيدة إذاً في نظره هي القوة التي يستعين بها العقل من أجل فهم حقائق الكون فهماً عقلياً (إبراهيم،137).

تأصيلاً على ما سبق نخلص إلى أن قضية العلاقة بين الدين والفلسفة أكثر وضوحاً عند فلاسفة العصور الوسطى، خاصة مع وجود الوحي الذي بين قصور العقل في معرفة الغيبيات، ومع ذلك فتح أمامه طريق للوصول لمعرفة الحقائق.

عليه، يمكن القول أن الفرق واضحاً بين التفكير اليوناني والتفكير المسيحي في هذه القضية، فالفكر اليوناني لم يضع حدوداً للعقل تحول بينها وبين الوصول إلى المعرفة والحقائق الدينية، وأمنوا بقدرة العقل الكاملة لمعرفة حقائق الأشياء، على عكس الفكر المسيحي الذي وضع حدوداً للعقل لا يمكن تجاوزها، وبينوا قصوره في الإحاطة بمسائل تتعلق بما رواء الطبيعة التي لا يمكن معرفتها إلا بوجود الوحي، وبالتالي خضعت الفلسفة للدين.

لم يختلف موقف الفكر الإسلامي في مشكلة العلاقة بين الفلسفة والدين عن الفكر المسيحي، فبعد اتصال الفلسفة اليونانية بالإسلام ودخول كتب اليونان إلى العرب، وذلك إما عن طريق الفتوحات الإسلامية التي كانت مراكز البحث الفلسفي منتشرة في العالم القديم الذي فتحه المسلمون، ومن بين هذه المراكز كانت مدرسة الإسكندرية التي ظلت قائمة أثناء فتح المسلمون مصر، فكانت هي المدرسة اليونانية البحتة الوحيدة التي بقيت في هذه البلاد، وكذلك كانت هناك مدارس فلسفية عرفها المسلمون في أنطاكية ووهران والرها والمدائن وجند يسابور، مما ظهرت عندهم حركة الترجمة، ومنها ترجمت كتب اليونان وانتقلت الفلسفة إلى العالم الإسلامي (النشار،2013،104).

وبدخول هذا العلم الجديد العالم الإسلامي تضاربت الآراء بين مؤيد و محرّم للفلسفة فانقسم إلى ثلاث اتجاهات خاضت في علاقة الدين والفلسفة، وهي:

- الاتجاه الأول : الفرق الكلامية التي وجدت في الفلسفة السند المنهجي للاستفادة منه في تقوية الحجج وتقوية البراهين وتدعيم أركان الإيمان القلبي بالأدلة العقلية، واستخدام التأويلات العقلية في تفسير

وشرح آيات القرآن الكريم، ونجد ذلك في مذهب الأشعري الذي انتهج منهج الوسطية بين مذهب السلف القائم على التسليم بالنص من غير تعرض لتأويله عقلياً، ومذهب المعتزلة الذي نهج أصحابه منهج الفلاسفة في إثبات العقائد الإسلامية، فكان تفسيرهم في العقائد الإسلامية تفسيراً فلسفياً، وبالتالي اعتزوا بالعقل اعتزازاً كبيراً فجعلوه وسيلتهم في المعرفة، مما فتح الحرية الكاملة للعقل في فهم النصوص وتأويلها، فلاقى هذا المذهب انتقاداً عنيفاً من قبل (الغزالي) بحجة أنهم وقعوا في الكثير من التناقض والعجز والتهافت في محاولتهم إقامة عقائد دينية على أساس عقلي صرف، وأوضح أن المشكلات الدينية لا يمكن أن تحل بالعقل، وإنما تتطلب ذوقاً باطنياً يستطيع الإنسان إن يصل إلى جوهر الحقائق الدينية، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى أقرَّ أن المعرفة لا تأتي إلا بنور يقذفه الله في قلب المؤمن، وهذا ما عُرف عنده بالتصوف (إبراهيم، ص139).

- الاتجاه الثاني: أهل السنة الذين ذهبوا في اتجاه معاكس للتيار الأول التزموا بالوحي وبينوا قصور العقل عن فهم الحقائق الدينية، ورأوا أن هناك مسائل ليس في استطاعة العقل البشري أن يصل إلى نتائج ثابتة فيها، كمسألة إثبات صفات الله وتعالى ونفيها، ومسألة قدرة العقل البشري بجوار قدرة الله، وغيرها من المسائل التي يفتح البحث فيها باباً واسعاً من أبواب الاختلاف، الذي وقع فيه علماء الكلام(أبو زهرة،2020،18).
- الاتجاه الثالث: متمثل في الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، أو بين النقل والعقل، القائم على مبدأ الوسطية، فكانت البداية مع الفيلسوف (الكندي)الذي حاول اثبات نفي التعارض بين الدين والفلسفة، فحسب قوله أن الفلسفة أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة، وأن مهمة الفيلسوف هي إصابة الحق ، عمله هو عمل بالحق، وأطلق على الفلسفة الأولى ما بعد الطبيعة، وهي في نظره علم الحق الأول الذي هو علة كل حق، أي أنها تتوجه أساساً لدراسة ومعرفة الله الذي هو الحق الأول وعلة كل حق(النشار ،1998،95).

وفي دفاعه عن الفلسفة وصل به إلى الهجوم على كل الذين هاجموا الفلسفة والفلاسفة ، وقدم في ذلك ثلاث حجج لتوفيق بين الفلسفة والدين، وهذه الحجج هي:

الحجة الأولى: أن علم الربوبية من علم الفلسفة، بقوله: «يحق أن يتعرى من الدين من عاند قضية علم الأشياء بحقائقها وسمَّاها كفراً، لأن علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية وعلم الوحدانية وعلم الفضيلة» (الكندي، ص28).

الحجة الثانية: موافقة ما جاء به الرسل لحقائق الفلسفة : وفي ذلك يقول :« وجملة كل علم نافع والسبيل إليه، والبعد عن كل ما هو ضار والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعاً هو الذي أتت به الرسل الصادقة من

الله جل ثناه، فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها، إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده، وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإيثارها» (الكندي، 29).

الحجة الثالثة : اقتناء الفلسفة : ورأى أنه من قال لا تجب دراسة الفلسفة وجب عليه أن يحصر عِلة ذلك وأن يعطوا على ذلك برهاناً(الكندي، 30).

نلخص فلسفة (الكندي) في قضية الدين والفلسفة في الآتي: فما دامت الفلسفة غرضها السعي العقلي لمعرفة العلة الأولى للحق وهو نفسه غرض الشريعة الإسلامية، وهذا الحق هو الله، فإذاً الحقيقة مصدرها واحد، ألا وهو النقل والعقل، فإذاً لا خلاف بين الدين والفلسفة ، وبالتالي يختفي أي تعارض بينهما.

رغم ذلك نراه في موضع آخر يذهب إلى خلاف هذا الرأي، ويُفرق بين الفلسفة التي هي العلوم الإنسانية التي يطلبها البشر، وبين العلم الإلهي، وهو أعلى مرتبة، والذي يتم بلا طلب ولا تكلف كعلم الرسل صلوات الله عليهم، فقد جاءهم بلا طلب ولا تكلف ولا بحث، فهو خاص بالرسل دون غيرهم من البشر، وأيضاً كلام الله في القرآن جواباً عما سئل به الرسول هو غاية في الوجازة والبيان وقرب السبيل والإحاطة بالمطلوب، في حين أن الفيلسوف إذا قصد الجواب فيكون ذلك بعد طول بحث وجهد، ويكتسبه اكتساب(موسى، 2019،81–82).

استكمالاً لما بدأه (الكندي) جاء (الفارابي) الذي تطرق لنفس القضية في التوفيق بين الفلسفة والدِّين، فنجد في كتابه: (تحصيل السعادة) يعتبر الملة محاكية للفلسفة وهما يشتملان على موضوعات بعينها يعطيان المبادئ القصوى للموجودات، ويعطيان الغاية القصوى التي لأجلها كُوْن الإنسان، وكل ما تعطيه الفلسفة متصوراً فإن الملة تعطيه متخيلاً وفي موضع آخر يقول : «فمتى حصل ذلك أي علمت بمثالاتها التي تحاكيها وحصل التصديق بما خيل منها عن الطرق الاقناعية والتخيلية كان المشتمل على تلك المعلومات ملة، ثم إذا أخذت تلك المعلومات نفسها واستعمل فيها الطرق الاقناعية سُميت فلسفة» (الفارابي، 90).

ومما تقدم يتبين أن(الفارابي) ينظر إلى موضوعات الدِّين وموضوعات الفلسفة بأن غايتها ونتائجها واحدة، وهي تحقيق السعادة القصوى، لأن جوهر السعادة في نظره تأمل ولذة وبهجة، ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى هذه المرتبة إلا إذا أدت تأملاته إلى إقامة التوازن بين مطالب الجسم ومطالب العقل، فعرف الوزن الحق لكل شيء، وبما أن الإنسان كائن روحي عاقل فسعادته تكون بتحقيق طبيعته التي ميزته عن باقي الكائنات الأخرى وهي العقل.

وأكثر فلاسفة الإسلام اهتماماً بقضية التوفيق بين الدِّين والفلسفة، هو الفيلسوف (ابن رشد) وبيِّن بالحجة والمنطق في كتابه (فصل المقال) اتفاق الدِّين والفلسفة قائلاً: «إذا كان فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر إلى الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي

مصنوعات فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها، وإنما كلما كانت المعرفة بصنعتها أتمْ، كانت المعرفة بالصانع أتم» (ابن رشد،9).

فانتهى إلى أنَّ الشرع قد دعا إلى النظر في الموجودات بالعقل، وجاء بأدلة قرانية تؤيد كلامه، وهذه الأدلة القرآنية كلها تحث على النظر العقلي في جميع الموجودات، مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار)[سورة الحشر، الآية 2] وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي والشرعي معاً، ومثل قوله تعالى : (أولم ينظروا إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)[سورة الأعراف، الآية 185] وهذا نص يحث على النظر في جميع الموجودات.

ومن جانب آخر حدد ابن رشد طريقة النظر العقلي التي هي استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا ما سَمَّاه بالقياس العقلي وهذا النوع من النظر هو الذي دعا إليه الشرع، مثل قوله تعالى : (أولم ينظروا إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) ، فهذا قياس عقلي نستنبط منه أن النظر في ملكوت السموات وما فيها من جمال وتنظيم دليل علة وجود خالق مبدع أبدع في خلقه، وهو أتم أنواع النظر وأتم أنواع القياس، وسُّميَ برهاناً، وطالب ابن رشد الفقيه بوجوب معرفة المقاييس الفقهية وأنواعها، ومعرفة ما منها قياس وما منها غير قياس لكي يتمكن من استنباط الأمور من الآيات القرآنية، ولا يتسنى له ذلك إلا بمعرفة القياس العقلي (ابن رشد، 11).

لم يكن ابن رشد يؤمن بالتوافق بين العقل والنقل نظرياً وحسب، بل كان يؤمن به عملياً، كما قال في كتابه السابق ذكره، أنه يمكن الجمع بين المعقول والمنقول، فكل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع، فإن هذا الظاهر يقبل التأويل، فالحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له.

بالرغم من تأكيد ابن رشد على قدرة العقل للوصول إلى اليقين إلا أنه من جانب آخر أكد على أن للعقل ميداناً محدداً يحسن التفكير فيه، فإن تجاوزه يكون معرضاً للضلال، ومن هنا أكد على حاجة الإنسان للوحي الإلهي الذي هو مكملاً للعقل وهادياً له في موضوعات لا يستطيع العقل الوصول إليها بمفرده، وبالتالي يمكن القول أن عقلانية ابن رشد مُقيَّدة بحدود الشريعة الإسلامية، أي لا يمكن التوفيق بين الدين والفلسفة من أجل إقامة عقيدة جديدة ورفض العقيدة الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة.

المطلب الثالث : سلطة العقل وسلطة الوحي.

المبحث الأول: نمو النزعة العقلية:

وبناءً على ما ذكرنا سابقاً عاشت أوروبا فترات من الجهل والتخلف نتيجة السلطة الدينية التي كانت السلطة العليا في العصور الوسطى، وعانا الكثير منها بسبب الجمود العقلي الذي أوقف الحياة العلمية، وكان العلم المفروض من هذه السلطة هو الفكر الأرسطي، غير أن ذلك لم يستمر مع طول مدته، فقد

قامت نهضة فكرية رافضة كل العلوم التي فرضتها السلطة الدينية، خاصة بعد انتقال العلم الإسلامي إلى الغرب وانتقلت معه علوم الحضارة اليونانية التي حفظتها الحضارة الإسلامية، فلعبت دوراً أساسياً على نشر المعرفة في الغرب، وساهمت في التطورات العلمية التي أدت إلى بزوغ عصر النهضة منادياً بفصل الدين عن السياسة، مما انتج مصطلح العلمانية كمشروع وحركة سياسية انتجته أزمة طغيان الكنيسة ورجال الدين وجمودهم الفكري والديني، وبالتالي تحررت أوروبا من القيود الدينية التي فرضتها الكنيسة.

برغم هذا التحرر إلا أن النزاع اشتد بين رجال الدين ورجال عصر النهضة بعد ما اكتملت أسباب القوة والجرأة، وحب الاستطلاع الحر، فازداد رجال عصر النهضة قوة في نبذ العقائد المتعسفة والخروج على التقاليد المألوفة والمبادئ المرعبة، فتمرد على تقييد الحرية في كل المجالات، وإعلاء صوت العقل على صوت الوحي، فلم يكن للسلطات الدينية إلا أن تشن بقوة على الحملات المضادة لها، فنزعت إلى اضطهاد العقل وأتباعه، فانقضت عليه بقوة وافتراس، وطاردت أحرار الفكر وأشاعت الخوف في رؤوسهم وتولتهم بأشد العذاب أهونه السجن وآخره الإعدام، مما جعل رجال عصر النهضة لم يبدعوا بفلسفة جديدة، بل ظل التفكير الفلسفي عندهم قائماً على العلم الطبيعي النابع من المذاهب الفلسفية القديمة، حيث ركزوا جهودهم في تفسير الظواهر فقط، أما الفلسفة المبتكرة لم تولد إلا في مطلع العصر الحديث في القرن السابع عشر الذي اشتد فيه الإيمان بالعقل مع الإبقاء على قدسية الدِّين وحرمة تعاليمه، فجهر (ديكارت) باستبعاد أي سلطة غير سلطة العقل، ومع ذلك جعل العقيدة الدينية فوق متناوله، مما شاع المذهب العقلي بين مفكري فرنسا، وللذهاب إلى انجلترا نجدهم يمجدون العقل ويزعمون أن تأملاتهم العقلية لا تسيء للعقيدة الدينية، برغم أنهم كانوا يمجدون إلا أنهم في نفس الوقت يضعون أراء وأفكار بعيدة عن تعاليمه، مما جعل السلطة الدينية تتصدى لهم بنفس بسلاحهم، فادعت اعتصامها بالعقل ومبادئه، مع ذلك لم يستمر هذا التصدي لشدة خصومهم، فاضطرهم للجوء إلى التوفيق بين وجهات النظر وأعلنوا أن مكتشفات العقل تؤيد تعاليم الدين، ومنها بدأت حركة تأويل النصوص الدينية لتنسجم مع حقائق العقل(الطويل،10).

تأصيلاً لما سبق، أن الهجمة التي شنها المفكرين ليست ضد الدين في حد ذاته، بل ضد من احتكر الدين لمصالحهم وهم رجال الدين من يمثلون السلطة الدينية، وهذا الهجوم أدى إلى انتصار العقل وتضاءلت كل الحملات التي شنتها السلطة الدينية ضده، ولكن مع ذلك ظلت الفلسفة تنادي بتعاليم الكنيسة لخلق جو من الصفاء مع الدين.

المبحث الثاني : انتقال النزاع بين الدين والفلسفة في الفكر العربي:

رأينا فيما سبق أن مفكري الإسلام يرون أن غاية الدين تتشابه مع غاية الفلسفة، من حيث أن كليهما يرمي إلى تحقيق سعادة الإنسان، وكليهما يبحثان عن الحق وعمل الخير، ولكن موقف رجال الدين مختلف، فهم أكثر خصوم الفلسفة وينفرون من كل علم ينسب إليها، وقد بدأ هذا الصراع بين الدين والفلسفة من الحملة التي شنها (الغزالي) على الفلاسفة في كتابيه (تهافت الفلسفة) و(المنقذ من الضلال)، فوصفهم بالغباوة والحمق والزيغ، وسوء ظنهم بالله وإيمانهم بالعقل، ومع ذلك كان مؤمن بالمنطق الذي سمَّاه معيار العلم، وقال فيه (أن من لا يعرف المنطق لا ثقة لنا بعلمه)، ولكن أقواله عن الفلاسفة ظلت تتردد إلى يومنا هذا، فتأثر به رجال الدين أمثال (ابن صلاح) الذي حارب الفلسفة ووصفها بالسفه والانحلال والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، و كما يرى في المنطق منبع الشر، ولم يبح به الشرع ولا أحد من الصحابة ولا التابعين، ووصف بمن يدرس علوم الفلسفة فقد غدر دينه وتعرض للفتنة العظمى، فكانت فتواه أثراً كبيراً فيمن جاء بعده، أمثال (ابن تيمية) الذي أعلن عدائه للفلسفة وذلك في مؤلفه (الرد على عقائد الفلسفة)، وتبعه (ابن القيم الجوزية) في كتابه (مفتاح السعادة) الذي عرض فيه نقده للعلوم الفلسفية وتهافت المنطق وقلة جدواه (الطويل، 121).

ومع كل هذه الحملات التي شنها رجال الدين عبر فتواهم لم تؤثر على التفكير الفلسفي، لأن الدين الإسلامي في أصله لا يعوق النظر العقلي، ولا يقف ضد حرية التفكير، بل العكس تماماً دعا إلى التعقل والتدبر والتأمل في ملكوته في عدد من الآيات القرآنية، مما جعل المستنيرون من رجال الدين في العالم الإسلامي يسيرون في اتجاه العقل، ويتمشون مع مقتضياته، فعملوا على التوفيق بين مبادئ العقل وتعاليم الدين، أمثال (جمال الدين الأفغاني)و(محمد عبده) و(عبد الرحمن الكواكبي) وغيرهم، ولأن الوقت لا يسع للحديث عنهم جميعاً، سنشير إلى علمين من أعلام الفكر العربي اللذان كان اهتمامهما في الدعوة إلى التجديد واستخدام العقل بما يناسب الثوابت الدينية، وهما (الشيخ جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده).

احتل الشيخ (جمال الدين الأفغاني) مكاناً كبيراً في الفكر العربي بدعوته للتجديد والإصلاح الديني، ودعوته لبعث الأمة الإسلامية على أسس عقلية لا تدفع إلى إنكار الدين، فعمل على تمجيد العقل محاولاً جعله متماشياً مع الدِّين، مما أعلن أن الحكم لا بد أن يكون للعقل والعلم، حتى ولو كانت أحكام العقل لا ترضي العامة المساندون لرجال الدِّين وتجار الديانات، فقام بحل التناقضات والاختلافات بين حقائق العلم وبين آيات القرآن الكريم، ومن جهته رأى « أن القرآن يجب أن يحل عن مخالفته للعلم الحقيقي، خصوصاً في الكليات، فإذا لم نرى ما يفسر في القرآن وما يوافق صرح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الإشارة ورجعنا إلى التأويل»(الأفغاني،2002،138).

يضاف إلى ذلك أن (الأفغاني) أراد من الإنسان أن ينطلق بعقله ليكشف أسرار هذا الكون، وأن يطلقه لتصديق تصورات ما كانت مستحيلة وأصبحت ممكنة، وموقفه هذا إنما جاء للرد على كل من يزعم أن الإسلام دين منغلق لا يحث على العقل ولا على البحث العلمي، لذا نجده يعادي كل الفلسفات التي تؤمن بأن للكون مناطق مغلقة إلى الأبد دون عقل الإنسان وتفكيره، وأن لا سبيل للعقل من اقتحامها (عمارة ،1988، 270).

مما تقدم يتضح أن هدف الإصلاح الديني عند الأفغاني هو القيام بحركة دينية تهتم بالقضاء على ما رسخ في عقول العوام وبعض الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الصحيح، وغرس الثوابت الدينية وشرحها بحيث يؤخذ منها ما فيه سعادة الإنسان دنيا وآخرة.

جاء تلميذ الأفغاني الإمام (محمد عبده) ليكمل ما بدأه أستاذه في علاقة الدِّين بالعقل، بقوله : «لقد تآخى العقل والدِّين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل وتقرر بين المسلمين كافة، وإن من قضايا الدِّين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا بالعقل كالعلم بوجود الله وإرسال الرسل وإدراك فحوى الرسالة والتصديق بها، كما أجمعوا على أنَّ الدِّين إذا أتى بشيء يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل، فالعقل من أشد أنواع الدِّين الإسلامي» (زقزوق، 132).

وفي هذا السياق يقرْ (محمد عبده) بوحدة الدِّين والعقل وأنهما مُكملان لبعضهما في فهم المسائل الدينية التي لم تأت فوق إدراك العقل البشري، وحسب رأيه أن العلوم التي تبحث في بيان وتفسير الموضوعات الإلهية علوم عرفتها الأمم زمن ولكن أفضلها الذي احتكم إلى العقل من حيث أخذها بالحجج والبراهين، حيث يقول: «علم تقرير العقائد كان معروفاً عند الأمم قبل الإسلام، ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدِّين يعملون لحفظه وتأييده، وكان البيان من أول وسائلهم إلى ذلك، لكنهم كانوا قلما ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي وبناء آرائهم وعقائدهم على ما في طبيعة الوجود وما يشتمل عليه نظام الكون، بل كانت منازع العقول في العلم ومضارب الدين في الإلزام بالعقائد، وتقريبها من مشاعر القلوب على طرفي النقيض، وكثيراً ما صرح الدِّين على لسان رؤسائه: أنه عدو العقل» (عبده،1978، ص18).

نفهم من ذلك أن الإمام محمد عبده قد صرح بضرورة العقل واللجوء إليه في كل عصر، ذلك أن تفسير القرآن في كل مرحلة يرتبط بالمستوى العقلي ودرجة العلم التي وصل لها أبناؤه، حيث أن الإسلام أقام الدعوى واستنهض الفكر وخاطب العقل، وحثَّ أصحاب العقول على الإمعان في الكون حتى توقن بها إيقاناً كاملاً.

من جانب آخر أشار في مذكراته أنه عندما بدأ يدرس الفلسفة والعلوم الكلامية على يد أستاذه (جمال الدين الأفغاني)، أخذ الجمهور والطلبة يتقولون عليه الأقاويل ويزعمون أنه تلقى تلك العلوم لزعزعة العقائد الصحيحة، وأن نفسه تهوى الضلالة، فالتجأ إلى شيخه وأخبره بما قيل، فكان رد شيخه يلخص العلاقة

بين الدِّين والفلسفة، بأن قال : « إن الله هو الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته، وأن أعدى أعداء العليم هو الجاهل، وأعداء أعداء الحكيم هو السفيه، وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم والحكمة»[38] [عبده،2011 ،42).

النتائج

بعد هذه الدراسة ألخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي تتمثل في التالي :

1- إن عدم فهم المصطلح هو الذي أدى بالهجوم على الفلسفة، من حيث أن كلمة فلسفة كلمة دخيلة على البيئة الإسلامية، وطبيعي كل جديد ودخيل منبوذ، ولكن لو استبدلنا كلمة فلسفة بالكلمة الموازية لها هي الحكمة فستختفي كل الإشكالات المتعلقة بين الدين والحكمة، وهذا ما جاء في القرآن الكريم (وعلمهم الكتاب والحكمة).

2- بعد أن قلنا أن الفلسفة هي الحكمة، نقول أن الحكمة هي أساس الإسلام، والمسلم لا يكون مسلماً إلا إذا كان حكيماً ومتزناً في أقواله وأفعاله.

3- تقوم الفلسفة على العقل ، والعقل هبة من الله للإنسان ليميزه به ويهديه الى الرشاد، والدين يقوم على الوحي، والوحي أيضاً هبة من الله للإنسان ليهديه في الدنيا والأخرة، إذاً فما دام مصدرهما واحد فلا تعارض بينهما.

4- الدين لا يعوق الإنسان على التفكير، بل يدعوه إلى التفكر والتدبر، وكذلك الفلسفة الحقة لا تهاجم الدين وتشوه مسائله أو تنكرها.

5- الفلسفة الصحيحة لا تؤدي إلى الإلحاد، وإنما قليل من الفلسفة هو الذي يؤدي إلى الإلحاد، بينما التعمق فيها ينتهي بالعقول إلى الإيمان- كما قال فرنسيس بيكون، ومن يريد التمسك بالمذاهب القديمة التي لا تؤمن بالله يمكن أن يؤدي به إلى الإلحاد .

6- التعارض الحقيقي إذاً ليس بين الدِّين والفلسفة بالمفهوم العام لهما، بينما التعارض بين رجال الدِّين والفلاسفة، حيث أن رجال الدِّين يريدون السلطة لاضطهاد العقل، لأن في نظرهم أن العقل يقتحم منطقتهم الْمُحرمة التي حددوها لأنفسهم، وخوفاً من انتزاع السطلة الدينية التي كانت بأيديهم، مثل ما حدث عند رجال اللاهوت في العصور الوسطى.

7- لو تأملنا في القرآن الكريم فإننا نجد أهم المباحث الفلسفية التي ناقشها الفلاسفة القدامى وعالجها القرآن الكريم في محكم آياته، فقد نظر القرآن للعلم والأخلاق، والسياسة والحكم، وقضية المرأة، والله، والوجود، والكون، والغيبيات أو ما وراء الطبيعة والكثير من القضايا التي عرضها القرآن الكريم هي

في نفس الوقت مباحث فلسفية، مما يدل دلالة واضحة أنه لا وجود للتعارض بين الدين والفلسفة، وقد أبدع عباس العقاد في ذلك حين ألف كتابه الفلسفة القرآنية متناولاً فيها جميع هذه القضايا.

8- نجد الإسلام قد حطم كل العوائق التي تعيق العقل وتقف في طريق عمله، فرفض التبعية والتقليد الأعمى الذي يؤدي إلى تجميد العقل عن التفكير، ودعانا إلى استعماله والنظر في ملكوت السموات والأرض، كما أزال عنا الأوهام والخرافات والاعتقاد بالكهنة وعدم سيطرة إنسان على إنسان باسم الدين، فحرر الإنسان من الخوف من أي سلطة ورفعه إلى مقام أعلى، وعرفنا أن الضار والنافع هو الله، ولا يتحقق ذلك إلا بتحكيم العقل الذي يرفض التبعية، كل هذا يقودنا إلى القول أنه لا تعارض بين العقل والنقل، أو بين الفلسفة والدين.

المراجع والمصادر

(1) ابن رشد، محمد بن أحمد (1968) فصل المقال قيما بين الحكمة والشريعة من اتصال. ط3، تحقيق: مصطفى عبد الجواد عمران، المكتبة المحمودية، ط3، 1968.

(2) إبراهيم، زكريا. مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر.

(3) إمام، عبد الفتاح إمام(1972) مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة، القاهرة،.

(4)

(5) أحمد، محمد سيد(2000) المدخل لدراسة الأديان، مكتبة الإيمان، القاهرة.

(6) أحمد، عبد العاطي محمد(2012) الفكر السياسي للإمام محمد عبده. ط2، الهيئة العامة للكتاب.

(7) أبو زهرة، علي محمد أبو زهرة (2020) تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة .

(8) الأفغاني، جمال الدين (2002). الخاطرات، تحقيق سيد هادي. ط1، مكتبة الشروق، القاهرة.

(9) البهي، محمد (1974) الدين والحضارة الإنسانية، دار الفكر، بيروت

(10) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (1983). التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت.

(11) الأفغاني، جمال الدين (2002). الخاطرات، تحقيق سيد هادي. ط1، مكتبة الشروق، القاهرة.

(12) الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين (2005) . الملل والنحل. ط1، دار ابن حزم، بيروت .

(13) الطويل، توفيق . قصة النزاع بين الفلسفة والدين. مكتبة الآداب، مصر.

(14) الفارابي، أبو نصر محمد (1995) تحصيل السعادة. تقديم علي بو ملحم. ط1، ومكتبة الهلال.

(15) الفارابي(1986) الجمع بين رأيين الحكيمين. تحقيق، ألبير نصري.ط2 نادر، المكتبة الشرقية، لبنان.

(16) الكندي(1948) كتاب الكندي للمعتصم بالله في الفلسفة الأولى. تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار أحياء الكتب، القاهرة.
(17) النشار، علي سامي(2013) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ج1. ط2، دار السلام، القاهرة .
(18) النشار، مصطفى (1998) مدخل جديد إلى الفلسفة. ط1، دار قباء، القاهرة.
(19) النشار، مصطفى (2018) مفهوم الدين وتصنيف الأديان، مجلة الاستغراب
(20) زقزوق، محمود حمدي (2017) تمهيد للفلسفة. ط2، مكتبة الإيمان، القاهرة.
(21) زكريا، فؤاد (1985) التفكير العلمي، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
(22) ستيبس، ولتر(2013) الزمن والأزل، مقال في فلسفة الدين. ترجمة زكريا ابراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
(23) شلبي، زيد(2012) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة.
(24) (28) صليبيا، جميل(1978) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
(25) عبده، محمد عبده(1994) رسالة التوحيد. تحقيق محمد عمارة. ط1، دار الشروق، القاهرة.
(26) عمارة، محمد(1988) جمال الدين الأفغاني.ط2، دار الشروق، القاهرة.
(27) عبده، محمد(2011) مذكرات الإمام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
(28) موسى، محمد يوسف (2019) بين الدين والفلسفة. ط1، مكتبة التقوى، القاهرة.
(27) المعجم الوجيز(2009) من اصدارات مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للنشر، القاهرة.